مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٧) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٧) 2023

من لاهوت العري إلى لاهوت السَّتر
قراءة في قصائد أدونيس (٢٠١٠-٢٠٠٣)

***د. يوسف حامد جابر**

****نور فيصل مخلوف**

(تاريخ الإيداع ٧/١٨ /٢٠٢٣. قُبِل للنشر في ٩/١٩ /٢٠٢٣)

□ ملخّص □

يرتبط العري، بصورة أو بأخرى، بمعنى لاهوتي، بمثل ارتباطه بفكرة الخطيئة الأولى، فقبل الخطيئة كان آدم وحواء مستورين بالستر الإلهي ، ما لبثا أن أدركا عريهما إثر وقوع الخطيئة، وبعد الهبوط إلى الأرض كان لا بد من الستر، على أمل استعادة الثوب المفقود، ثوب النعيم في الجنة.

لقد جعل اللاهوت، ومن بعده المادية، أو ما يُدعى بالبورنوغرافيا، العري أمراً غير قابل للتفكير فيه، فالعُريُ سبيلٌ إلى معرفة الشيء، واكتناه جوهره.

يدعو أدونيس في قصائده إلى تحرير الجسد، ويراه ضرورةً تقود إلى تحرّر العقل والفكر من قيود التقديس والتدنيس، غير أنّ عُري الجسد الظاهر في تلك القصائد لم يكن سوى قناعٍ تتوارى خلفه دلالاتٌ جديدةٌ مرتبطة بالكينونة من هنا بات جلياً، أنّ نعدَّ الجسمَ رداءً للروح، وعندما تتعرى هذه الروح– أي تتحرّر من الجسد تهيم حرّةً، فتعرية الأجساد ليست نهاية لعملية التعرّي نظراً لأن الجسد نفسه يشكل رداءً نتجرد منه عند الموت.

كلمات مفتاحية: العري، الستر، أدونيس.

*أستاذ. قسم اللغة العربية. كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة. جامعة تشرين. اللاذقية. سوريا.

**طالبة دكتوراه (الدراسات الأدبية)– كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة. قسم اللغة العربيّة– جامعة تشرين– اللاذقية–سوريا.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٧) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٧) 2023

Transitioning for the Theology of Nudity to the Theology of Modesty

***Yousef Hamed Jaber**
****Nour Faisal Makhlouf**

(Received ١٨/٧ /٢٠٢٣. Accepted ١٩/٩/٢٠٢٣)

□ ABSTRACT□

This academic paper explores the theological underpinnings of nudity and its association with the concept of original sin. Drawing from theological and philosophical perspectives, it examines the notion that Adam and Eve, prior to their transgression, were covered by a divine veil and only became aware of their nakedness after their fall.

The paper argues that the subsequent necessity to cover up signifies an attempt to regain the lost garment of bliss in heaven. Furthermore, it asserts the need to strip nudity of its categorization as the "unspeakable," challenging the binary division between the sacred and the profane.

Adonis's perspective on liberating the body from alienation is also examined, offering an avenue to transcend the association of the body with the profane.

Key words: Nudity, Modesty, Adonis**.**

*professor at Arabic language and Literature Department- Tishreen University- Lattakia-Syria.
**P.HD student Arabic Department-Faculty of Arts.

مقدمة:

يعبر الجسد عن الوجود، فهو تجسيد للكينونة الشاملة، والذات لا تحقق هويتها إلاّ من خلال حضورها جسدياً.، فهي تواجه العالم من خلال ذلك الجسد، فالذات مرتبطة بصورة أو بأخرى، بجوهر هذا العالم، وحضورُ المرء بوصفه ذاتاً، مقرون بوجود جسده في هذا العالم، ولا يمكن لتلك الذات أن تكون بعيدة عن الجسد، فهي تتجلى من خلاله.

يُعدُّ الجسد من القضايا الإشكاليّة في المجتمعات العربية، ومازال يُصنَّف من التابوهات التي تعالَج بحذر على الرغم من أهميتها، وتداخلها وارتباطها بقضايا الإنسان والمجتمع والوجود.

ولعل خطاب أدونيس الشعري عمل على كسر هذا التابو ، محاولا تعرية الجسد من العادات الموروثة، داعياً إلى إعادة النظر في هذا الجسد.

أهمية البحث وأهدافه: يعد الجسد من أهم المكونات البنيوية لخطاب الحداثة، وما بعد الحداثة، فالنص الشعري يأخذ من الجسد إيحاءاته الرمزيّة، وطبيعة علاقته الحيوية بالعالم الخارجي، والعوالم الداخلية، وما فيها من أحاسيس وعواطف وأفكار تغني أثره الفني. من هنا جاءت أهمية الخوض في غمار هذا البحث.

منهجية البحث: يعتمد البحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، إذ يقوم على رصد فكرة العري والستر في قصائد من النصوص الشعرية لأدونيس، محاولاً قراءة هذه النصوص قراءة تحليليّة توضح رؤية أدونيس حول هذا المفهوم.

الدراسات السابقة: أفاد البحث من دراسات سابقة كانت قد أضاءت بدورها جوانب من قضية العري والستر، نذكر منها:

الإيروس والثقافة، فلسفة الحب والفن الأوروبي. فياتشيلاق شستاكوف

فلسفة الجسد. ميشيلا مارزانو

أرخبيلات ما بعد الحداثة. رهانات الذّات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى إقرار الانعتاق

من لاهوت العُري إلى لاهوت السَتر

لا بد من الوقوف أولاً لنبين معنى العري والستر في أحد معاجم اللغة العربية

السَتر : "سَتَرَ الشيءَ يسْتُرُه ويَسْتِرُه سَتْراً وسَتَراً : أخفاه" . إذاً السَّترُ " ما يُسْتر به وجمعه (سُتُورٌ) "[١]

العُريُ: "خلافُ اللُّبْسِ. عَرِيَ من ثَوبه يَعرَى عُرياً وعُرِيَةً فهو عارٍ." وبمعنى آخر هو التجرد مما يُغطيه أو يكسوه، والتجريد عند المتصوفة ثلاثة أقسام: " تجريد الظاهر، وهو ترك كل ما يشغل الجوارح عن الله، وتجريد الباطن، وهو كل ما يشغل القلب عن الله، وتجريدهما، وهو إفراد القلب والقالب لله"[٤]

[١] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الرابع. مادة (ستر)، ص٣٤٣

[٢] د. إبراهيم، رجب عبد الجواد: معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، ط١، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٢، ص١٣٢

[٣] ابن منظور: لسان العرب. المجلد الرابع. مادة (عري)، ص٤٦.

[٤] عجم، رفيق: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٩، ص١٦١.

أما البورنوغرافيا pornographie " تدل في أيامنا على كل تمثّل ملموس ومباشر لـ (رسم / بورنو/ كتاب/ فيلم) للأشياء الفاضحة، بُغية إشاعتها وإثارة القارئ أو المُشاهد"[٥]

لطالما واجه الجسد على مر العصور، تحدّيات كبرى، كان أهمها، مواجهته للمعتقدات الثابتة، من جهة، ومواجهته للعقل من جهة أخرى< كون العقل يُصنف (كما هو رائج) في معزل عن الجسد، أو بمعنى آخر العقل يتعالى على هذا الجسد، كونه لا يتماهى معه، ككيان واحد> ، والحديث عن الجسد يقودك، بالضرورة، إلى الخطيئة الأولى، وفكرة العري والحجاب تبدأ منها أيضاً، لارتباط هذه الخطيئة بانكشاف العورة، "فبدت لهما سوآتهما، فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة" ، فوسوسة الشيطان قد نزعت لباّس التقوى لآدم وحواء، وبدا لكل منهما جسده، فأخذا يبحثان عما يواري سوآتهما، "يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً" ، فما كانت تستره الفضيلة، كشفت عنه المعصية وخسر الإنسان عزة الرب، وأصبح الجسد منظوراً، ومفتقداً للكبرياء، لتكون مشكلة الإنسان مع العراء هي مشكلته مع الفضيلة. "يا بني آدم لا يفتنّكم الشّيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما" ، ينزع عنهما لباسهما، أي ينزع[٨]عنهما لباس التقوى، والستر الإلهي، والسوءة هنا هي كامل الجسد كما في قوله تعالى: " فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه" فالسوءة هنا هي كامل الجسد، فمن غير الممكن أن يعلمه أن يواري جزء من الجسد ويترك باقي الجثة، من هنا كان الاختلاف بين العورة والسوءة

يرى ابن عربي أن "العورة في المرأة السوءتان فقط مثلها مثل الرجل"[١٠]

لقد أدى انحراف الطبيعة البشرية خلال المعصية، إلى اكتشاف الجسد فقبل السقوط كان وجود الإنسان من أجل الله، وكانت الفضيلة الغيبية تستره، ومع فقدان الستر–بحدوث المعصية– أصبح الجسد منظوراً وبدأ الوعي بالجسد المتعري، فما كان مستوراً بالفضيلة قبل السقوط أصبح مكشوفاً، فثوب الفضيلة كان يخفي الوجود الجسدي العاري لآدم وحواء، فالإنسان أصله العري*، وكان عليه أن يتصالح مع جسده، فاكتشاف آدم وحواء لعري جسديهما، يشكل بداية الحياة على الأرض، والانتهاك الأول لمنظومة السماء، والإدراك الأول، أو الوعي الأول، وكأن اكتشافهما لجسديهما كان اكتشافاً للذات، من هنا ترتبط كينونة الإنسان بوعي آدم وحواء لعري جسديهما، ولعل النص الديني بدأ مع بداية هذا الوعي، إذ لا توجد نصوص دينية أو ميثولوجية، تصور حياة الإنسان قبل ارتكابه للمعصية (الخطيئة الأولى)، وإدراكه لعريه، متحولاً من عمٍ عن عري جسده إلى مشاهد له، ومن جاهل إلى عارفٍ، فما أن أكل من شجرة المعرفة حتى أصبح قادراً على التمييز بين الخير والشر. لقد أثبتت "الدراسات التحليلية، والوثائق التأريخية، واللُقى الأثرية، أن ورقة التين التي تستر الأعضاء التناسلية البشرية لم يعرفها إنسان ما قبل التوراة أنها مصدر خطيئة وعورة، ولكن فيما بعد أضحت العورة مع

---

[٥] علوش، سعيد: معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مراجعة: د. يحيى، كيان أحمد حازم، د. الطالب، حسن. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت. ط١: ٢٠١٩، ص٢٨٠.

[٦] القرآن الكريم. سورة طه، الآية ١٢١.

[٧] القرآن الكريم. سورة الأعراف. الآية ٢٦.

[٨] القرآن الكريم. سورة الأعراف. الآية ٢٧.

[٩] القرآن الكريم. سورة المائدة. الآية ٣١.

[١٠] د. أبو زيد، نصر حامد: هكذا تكلم ابن عربي. ط٣، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦. ص٢٨٤.

*ويعود عارياً يوم الحشر قال تعالى: " كما بدأنا أوّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ" الأنبياء:١٠٤ ، ويتضح ذلك في حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلاً" قلت: يارسول الله، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: "الأمرُ أشدُّ من أن يُهمَّهم ذلك" < صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط١، ٢٠٠٢، دار ابن كثير، رقمه :٦٥٢٧، كتاب الرقاق، باب الحشر، ص١٦٢٢>

وجوب سترها ذات أهمية أخلاقية وقدسية، وذلك إبان ارتكاب آدم وحواء خطيئتهما الكبرى في أكل التفاحة المحرّمة التي رُمز لها في أنساق أسطورة البدء الأول أنها نزوع اشتهائي آثم، فأُدرجت العضوية الجنسية تحت شرعنة المحرّم، ما لبثت المرأة أن باتت كتلة جسدية مشتهاة ، وموضوع رغبة، ومصدر آثام، بذلك صار عسيراً عليها الارتقاء إلى مصافي القيم الأخلاقية السامية في رؤى فلسفة التكوين التي جاءت بها تعاليم التوراة المُلزمة بقواعد أنساق التذهين وتقاليده التعليمية في الذاكرة الجمعية."[١] [١]

من هنا لا بد من التمييز بين العري الرمزي والعري المبتذل، وبين العري المرتبط بالزهد والارتقاء والعري المجيش للغرائز، وقد ميز رجال الدين المسيحي في القرون الوسطى أربعة نماذج من العري: " nuditas naturalis أي حالة الإنسان الطبيعية، وnuditas temporalis، أي العري من حيث هو نتيجة الفقر والبؤس، وnuditas virtvalis أي العري كرمز للشوق والشهوة والوقاحة"[٢]

فالعري هو صورة الإنسان بطبيعته الفطرية، حالة من النقاء والانسجام بين الجسد والروح، إنه نقطة التحول الجوهرية للطبيعة البشرية، والبلاغ المعرفي الأول. وعبر مسيرة التطور البشري أخذ العري أبعاداً مختلفة حيث احتل مكاناً مهماً في الثقافات ما قبل التاريخ، فغالباً ما جُسدت الآلهة بشكلها العاري، كما هو واضح بتماثيل أفروديت وعشتار، وكانت هذه التماثيل جزءاً أساسياً من الطقوس والشعائر السائدة في ذلك الزمن، ولا يغفل على أحد أن المتنافسين في الألعاب الأولمبية في اليونان–قديماً– كانوا يتنافسون عراة ، فقد كان الجسد العاري رمزاً مهماً لليونانيين، وأن تكون رياضياً منتصراً بمنزلة كونك نصف إله، وكأن إظهار الجسد بشكله المثالي هو تكريم لهذه الآلهة. وفي بعض التقاليد " وبخاصة في الهندوسية، يرتدي عري الجسد صفة مقدسة، فالعري يمكن أن يعبر عن الحب تجاه الخالق الذي يشعر الإنسان بوجوده في لحمه المكرس الأمر الذي يستتبع إلغاء الثياب التي تفصل اصطناعياً الإنسان عن بقية الخليقة، ويشير العري في الوقت نفسه إلى الازدراء بأشياء هذا العالم، فللجسد العاري مظهر النقاوة نقاوة آدم وحواء قبل الخطيئة– أو "الطفولة" التي ترجع لواقعة أنها عمل الخالق، من هنا تأتي التسمية "حب مقدس وحب دنيوي(مدنس) " [١] ، فكما كان الشرق مهتماً بأنثاه العارية التي جسدت قدسية الأمومة والإنجاب والطبيعة، كان الغرب يتباهى بأجساد رجاله العراة، "حيث يتم تقديم الشكل الإنساني المثالي عارياً بالضرورة. وفي احتفائهم بالعري ميّز الإغريق أنفسهم عن الشعوب الأخرى كافة. فبالنسبة إليهم، لم يكن العري مسألة مرتبطة بالعار أو السخرية أو الذل. فعوضاً عن ذلك، اكتسب العري أهمية نموذجية انطوت على وضوح الرؤية (أحد أوجه التجربة الدينية الإغريقية)، إضافة إلى منظور رياضي (أرستقراطي في أصوله) اعتبر النصر واحتفالاته البهية بمثابة غاية يجب السعي إلى تحقيقها بكل الطاقات الممكنة"[٤] [١]

ومع ظهور الأديان عُدّت التماثيل الإغريقية وغيرها رموزاً وثنية، تمثل العار، كون العري ارتبط بصورة أو بأخرى بقصة آدم وحواء وطردهما من الجنة، لينتقل العري بذلك من تجسيد للكمال إلى وسيلة للإغواء والابتذال.

---

[١١] الحافظ، منير: الجنسانية. أسطورة البدء المقدس (بحوث جمالية تشخيصية لتأريخ الجنس في المعتقد الديني). ط١، ٢٠٠٨، دار الفرقد. ص٤٠.

[١٢] شستاكوف، فياتشيلاف: الأيروس والثقافة، فلسفة الحب والفن الأوروبي، تر: نزار سود العيون. ط١، دار المدى ، ٢٠١٠، ص١٠١.

[١٣] سيرنج، فيليب: الرموز في الفنّ-الأديان-الحياة. تر: عبد الهادي عباس. دار دمشق . ط١. ١٩٩٢. ص٢٤..

[١٤] فيهر، ميشيل: بالتعاون مع رامونا نداف ونانديا تازي، "شذرات لتاريخ الجسد البشري"، ج٢، زوان: نيويورك، ١٩٩٥، ص٢٣٧-٢٦٥، تر: د. مالك سلمان.

كان العرب قبل الإسلام يطوفون بالبيت عرُاةً رجالاً ونساءً، وحجة العرب أنهم كانوا يعتقدون بأن ثيابهم التي جاؤوا بها من بلادهم للحج في مكة، امتلأت بالذنوب، ولازالت بعض الشعوب تتخذ من العري غاية سامية، كما لدى بعض الفئات في الهند، وتسمى الجانبية، ليشكل العري عندهم مرحلة متقدمة من السلوك الارتقائي، فأن تتخلص مما يسترك هو دليلٌ على تخلصك من رغبات الدنيا وشهواتها، فالجاينبية "ويعدّ مؤسسها (واردهامانا ماهاميرا) الأسطوري، أو (جيّنا) (من الكشاتريين) تؤدي إلى التبشير، بأن العالم المادي كله شر، والإنسان ملزم بالسعي للتحرر منه. ومن هنا ينتج مطلبها بالتقشف الصارم، الذي يبلغ درجة تجعل الأكثر تبعية للجاينية يمتنعون حتى عن ارتداء الثياب (دينامباري–مرتدو النور)، ومطلب العفة وعدم الزواج، وعدم القتل (أهميسا)، كما لا يجوز قتل الحشرات....وهي ما زالت في الهند قائمة حتى اليوم"[٥]

وهناك أيضاً ما يدعى بمذهب التعري أو الطبيعيناتية، وهدفه تأكيد كون الإنسان خُلِقَ عارياً، وعليه أن يتصالح مع جسده، ومع الطبيعة، ويرى كثيرون أنَّ الجسد بات بمنزلة أداة للتعبير عن الاحتجاج، أو إيصال رسالة معينة.

فأن يتحقق التعري التام ، معناهُ أن يبتعد الجسد عن كل إغواء، فالإغواء هو المسافة الفاصلة بين التجلي والخفاء، وبين العري والحجاب (الستر)، وبين المرئي واللامرئي، وبين الجسد وما يغطيه، والعري هنا هو العودة إلى البدء، إلى التشكيل الجمالي الأول للجسد، فالجسد العاري " يدرك جوهره بعيداً عن فعل السرد، إنه يتخلص من كل حكايات الكون ليحكي قصته: تتقلص داخله كل الأشياء إلا أشياؤه، وتموت كل الرغبات لديه إلا رغباته، زمان واحد وقضاء واحد ولا ذات سوى اللحظة المدركة خارج أسوار الزمن العاري"[٦]

فالعري هو حال الطبيعة، الضوء، الله ، الماء...، إنه الكشف والوضوح والانعتاق والحقيقة، والحرية، يقول أدونيس:

وأنت، أيُّها الموتُ –الضّوء الذي نقرأ به الحياةَ، عَلِّمنا كيف
نحتفي بالجسد، وكيفَ نقيم طقوسَه–
عُرياً،
وتلك هي حال البحر، حال التكوين
والمكوِّن، حال الحبّ وحال
الولادة
لَثْغَا / يُوني
وكيف يصل إليها ويتشرّد فيها ويستبطنُها
إن لم تكن هذه حاله–
عُرياً
يُسَلسِلُها في ماء المعنى؟
والحجَرُ الكريمُ عُريٌ
والبذرة عارية

[١٥] توكاريف، سيرغي أ: الأديان في تاريخ شعوب العالم. تر: د.أحمد.م.فاضل. ط١، الأهالي، ١٩٩٨، ص٣٠٧.
[١٦] سعد بنكراد: الجسد، اللغة وسلطة الأشكال. مجلة علامات، ج٤، ١٩٩٥، ص١٣.

والضّوء عارٍ
والشَّمسُ لا تلبس إلاّ شعاعَها
والله لا يكتسي إلاّ بالنُّور
والآلهةُ خُلقوا عُراةً –تقول حكمة الهند
لَنْغَا / يُوني.[١٧]

فالعري كما يتضح من السطور السابقة، هو طقسٌ حب، يقود إلى التحرر والانعتاق، فحكمة الهند التي أشار إليها أدونيس يقصد بها مذهب (التانترا) الهندي، tantra، وهي فرع من الهندوسية، ولا تزال هذه العقيدة مستمرة حتى اليوم، وأهم مبادئها أن الجنس هو سماوي ويسمّى " الاتحاد الجنسي الطقسي في التانترا (مائتهونا) maithuna ، والعضو الأنثوي (يوني youni) والعضو الذكري (لنغا linga) أو لنغام (lingam) ، وهما رمزان مقدسان كما أن المائيتهونا بدورها مقدسة! لكن كلاً من المائتهونا واليوني واللينغا لا تنحصر في المستوى البشري كيانا ونشاطا، فهي تدل على أقطاب كونيّة، فاللينغا يمثل القطب الذكري مشخّصاً بالإله شيف، فيما يمثل اليوني القطب الأنثوي مشخصا بالإلهة شاكتي، قرينة شيفا، ومن خلال تواصلهما الجنسي تتم عملية الخلق والتكوين"[١٨]

لعل المرأة التي يتطلع إليها أدونيس هي تجسيد لشاكتي المقدسة، إنها الطريق إلى الجوهر الخالص، فمعها يحقق الاتحاد الخلاق شبيه اتحاد شيفا وشاكتي، إنه اتحاد يلغي الثنائية فلكي "تتمكن جيفا من معرفة أنها في الحقيقة شيفا (المطلق)، يجب أن تتخلص من كل أنواع الثنائية، وتدرك حقيقة أن كل ما يوجد ويعمل على المستوى المادي أو الأخلاقي هو شيفا–شاكتي، الحقيقة التي لا تنفصل أبدا، وقوتها عندما يتحقق المرء من صيرورة الخلق والحفظ والفناء ليست إلاّ تجل ل ليلا lila، أو لذة المرح، أو شيفا–شاكتي، يكف عن رؤية أي شيء جسدي أو مادي في الكون، ويصبح كل شيء بالنّسبة له تعبيراً عن شيفا– شاكتي" [١٩]

إن اتحاد أدونيس مع المرأة هو كاتحاد شيفا–شاكتي، إنه اتحاد كوني، يتجاوز الثنائيات ويصل إلى اللاثنائية العليا بغبطتها الكاملة، ليصلا بعدها إلى الطاقة الكامنة في كل إنسان، أو لنقل: إنه التماهي بين الذات والإله، للوصول إلى المطلق أو الإله، أو الحقيقة المطلقة / روح الكون أو ما يدعى ب(براهمان) في الهندوسية، فبراهمان " هو العلة العظيمة الموجودة بذاتها، الأساس الإلهي لكل ما ندركه، وهو يتماثل مع الكل. ومعرفة أن الذات واحدة مع براهمان هي الانعتاق. فالانعتاق ليس نتيجة للمعرفة ولكنه المعرفة ذاتها" [٢٠].

فمعرفة الإنسان لنفسه، أو ذاته الحقيقية، وإدراكه بأن الجسد والروح كلٌّ واحد، تتيح له معرفة، وهذه المعرفة هي المصدر الذي جاءت منه هذه الذات، وبه تتأكد الهوية، من ثمَّ تعود إليه وتذوب به في طقس يجسد وحدة الوجود.

وبذا، فإنَّ العري الذي يتحدث عنه أدونيس هو عري يتجاوز معناه الظاهر، إنه عري الحقيقة، عُرْي الذات والآخر، عري المعرفة، كما في قوله:

جسدكِ عارياً – غيمٌ يُمطر على أعضائي. لا أعرفُ إلاّ فيكِ

[١٧] أول الجسد آخر البحر. ص٦٣. (linga-yoni ذكر-فَرج)
[١٨] رسلان جاد الله عامر: الجنس المقدس، علاقة الرجل والمرأة من منظور هندوسي، موقع جمعية الأوان. سبتمبر ٢٤-٢٠١٨alawan.org
[١٩] نيخيلاناندا، سومي: الهندوسية. تحضيرها لانعتاق الرّوح. تر: د. نبيل محسن، ط١، دار ورد، ٢٠٠٠، ص١٥٨.
[٢٠] المرجع السابق نفسه. ص٦٤-٦٥.

مطراً يجيء من شموسكِ القائمة وراء جبلي نهديكِ، وراء
الردّفين، وراء دلتا فخذيكِ.
جسدكِ عارياً، يغسل ويُضيء كما تشاء يداي وعيناي.
جسدكِ عارياً، مهوى أنزل فيه لا أعرف من أنا.
جسدكِ عارياً، مكشوفٌ بي، مكتشفٌ بي فيَّ.
جسدكِ عارياً، ما أبهى أن أكونَ مطموساً فيه.
جسدكِ عارياً كاسياً، أتدّفأ بنار الدَّاخل، وأدور حولك، يا شمسي:
ما لي أضطرب الآن؟ هل لأنني أشعر، فجأةً، ألاَّ شيءَ في
حبري، في مخيّلتي، في جسدي، غير القرية التي وُلدت
فيها، وأنتِ– ..[٢١]

هذا العري هو انعكاس لعري الذات، بمعنى أن عري المرأة كان مرآة يعكس عريه الداخلي، فهذا الجسد العاري ليس مكاناً للخطيئة بل لاكتشاف الوجود، فها هو كالأرض التي تدور حول الشمس، إنه تجاوز واكتشاف أعاده إلى الأصل أو البداية، إلى القرية التي ولد فيها. وكل ذلك يحدث بواسطة المرأة. يقول:

"بك أصل إليَّ"
لا شيء،
غير القرية التي ولد فيها، وأنت، ..[٢٢]

إن الرغبة في تأكيد الوجود، لا بد أن تنبع من الرغبة في الوصال، فلحظة التوحد والتماهي، هي نفسها لحظة إدراكنا لكُنه الوجود، يقول أدونيس:

في الإنسان سرٌّ فريد هو أنه أبعد من حدود جسمه، وأعلى مما ينجبل منه هذا الجسم، خلافاً للشيء المحدود بما هو، وضمن ما هو. بهذا السرّ يصنع الإنسان نفسه ويصنع الحضارة، ويغيّر العالم.[٢٣]

يتعرى الجسد من حمولته الأخلاقيّة والدينيّة، ويدخل في عالم ما وراء المدنس، عالم من النقاء والصفاء، يعكس صورته الحقيقية ، أي أن الجسد يتعرى من ثوب الدنس، ويلبس ثوب القداسة، وفي تعرية الجسد هذه تعرية للعالم ليعيد قراءته بتجليه الأصدق، يقول في مكان آخر:

عَلَّمني جسدُك
أن أنقلب دائماً على العادة..
عُرْيٌ أن ألبسكِ
عرفتُ جسدكِ، فعرفت نفسي.[٢٤]

إن ارتباط التعرية بالحقيقة، توضح الرابطة الجوهرية بين الشكل العاري والحجاب، وبين الحقيقة وسترها. إذ يقول:

غارت أعضائي بعضها من بعض،

[٢١] أول الجسد آخر البحر. ص١٢٨
[٢٢] أول الجسد آخر البحر، ص١٢٩.
[٢٣] فضاء لغبار الطلع. ص٥٤.
[٢٤] أول الجسد آخر البحر. ص٢٠١.

في لقائنا الأخير:

يريد المكشوف فيها أن يستتر،

يريد المستتر أن ينكشف.[٢٥]

إن اللعب على موضوع التجلي والخفاء، هو ما يثير الرغبة، بمعنى أن التعري الخالص يخرج الجسد من دائرة الإغواء. فالجسد "المكسو يحكي لنا حكايات وأقاصيص خارج هذا الجسد متعلقة بأجساد أخرى، أما الجسد العاري فيشكل حالة وجود خارج مقتضيات الحكي وخارج مقتضيات النص. إن الجسد العاري يدرك جوهره بعيداً عن فعل السرد، إنه يتخلص من كل حكايات الكون ليحكي قصته: تتقلص داخله كل الأشياء إلا أشياؤه، وتموت كل الرغبات لديه إلا رغباته، زمان واحد وقضاء واحد ولا ذات سوى اللحظة المدركة خارج أسوار الزمن العاري" . فالملابس قد تخلق نوعاً منَ الخيال الجنسي، وتزيد من الإثارة، فعندما تُخفي جزءاً من الجسد، فإن ذلك يدفعك للتفكير فيما وراء هذا الجزء، فتغطيته خلقت نوعاً من الشهوة استدعاها الخيال، وفي المقابل إن التركيز على جزء واحد مكشوف كما يكون في الحجاب، أي التركيز على الوجه، فالعين تضمن لنا "إمكانية إقامة علاقة اجتماعية مع شخص آخر وذلك يذكرنا بالدور الرئيس للفضاء البصري في بناء صورة الجسد. ويصبح الوجه مركزاً لصورة جسده إنه ما يجلب انتباه الأشخاص له إنه الآلة التي يستخدمها لتقريب صور الأجساد الأخرى منه. الوجه له طبيعياً مكانة خاصة في مجموع صور الجسد إنها الجزء الأكثر تعبيراً عن الجسد وهو المرئي لكل العالم" . فالتواصل يتم عبر هذا الوجه، ومن خلال تلاقي نظرات العيون، ولا يمكن تجاهل الفم بوصفه مركز الكلام والبوح، فمنه تنطلق شرارة الحب، و به تتجمع الحواس الإنسانيّة، لذلك فإن الوجه هو مختصر الوجود الإنساني، ومجاز صورته الجسديّة، إنه الجزء المكشوف أمام الآخر، وكأن الآخر هو المرآة التي من خلالها يكتشف نفسه. يقول أدونيس:

أتبادل مع عينيها رسائلَ

تعمل معي

لكي أتغلّب على العواصف

التي ترجُّ أحشائي

لعطر المرأةِ التي أحبّها،

عينان تطوفان حولها.[٢٨]

إنّ في تلاقي العيون، من وجهة نظر أدونيس، تلاقياً للذوات في أية حال، فأن تكون وجهاً لوجه مع الآخر يعني أن الشخص حاضر بكليته إزاءك، واللقاء الأوّل مع أي إنسان لا يكون متاحاً إلا برؤية الوجه، فما يميز الوجه الإنساني "هو في الأساس وحدانيته وتعبيريته، فالوجه ينتمي لذاتيته، الوجه يجعل الشخص حاضراً، يظهره، يحدده، يجعله في الوقت ذاته غريباً وقريباً" ، فالوجه هو موطن الهوية الفردية، وذاتيته الجمالية، ورمز[٢٩]

[٢٥] المصدر السابق نفسه . ص٢١٥.

[٢٦] بنكراد، سعيد: مقال: الجسد ، اللغة وسلطة الأشكال. ص١٣، مجلة علامات . ١٩٩٥

[٢٧] بيدوح، سمية: فلسفة الجسد. دار التنوير. ٢٠٠٩. ص٩٧-٩٨.

[٢٨] ليس الماء وحده جواباً عن العطش. ص١٣٨-١٣٩.

[٢٩] مارزانو، ميشيلا: فلسفة الجسد. تر: نبيل أبو صعب. مجد. ط١، ٢٠١١، ص٧٥-٧٦.

شخصيته، والجزء الأكثر خصوصية، لأن الوجه " بين كل مناطق جسم الإنسان الأكثر تكثيفاً للقيم العالية، حيث يتبلور الإحساس بالهوية، وعبره ينشأ التعرف على الآخر، وتترسخ مزايا الإغواء، وتمييز الجنس..الخ"

للوجه لغة خاصة، لغة متعالية تجرِّد الأنا من العيوب، فالوجه هو الأكثر عرياً، والأكثر انكشافاً، فلا يخفي أي سرٍ وراءه، إنه الخطاب الذي لا يخلو من المعنى، فالآخر لا يتكلم دون وجه، والكلام ليس بالضرورة أن يكون بالنطق، بل قد يكون بالصمت، فعبر الوجه " يسائلني الغير، الوجه واسطة لاستقبال الآخر بشكل مطلق، هذا التجلي سيكون بمثابة أمر بالنسبة لي، وذلك راجع لعريه، ولحاجته" [1]. وهنا يتجاوز الوجه حدود معالمه/ الجبهة، الأنف، الفم، العينين../ ليكون امتداداً لذاته أو بمعنى آخر ينقل صورة عن ذاته. يقول أدونيس:

وجهها تيه سماوي. لا أعرف أين أضع عيني – حول الشفتين
الضفتين اللتين يجري بينهما كوثر الأرض؟ حول اللازورد الذي
ينبثق من تحت أهدابها، ناسجاً فضاء آخر داخل الفضاء؟
حول الأنف الأقنى؟ الخدين؟ المنحنى الذي يجمع بين ذروة
الشفة السفلى ومنحدر الذقن؟
أنظر إليها خلسة.
لا تنظر إلا إلى نفسها.
هل ذكّرني وجهها بما لم يكتمل فيّ؟ بما لا أزال أبحث عنه؟ ولماذا
لا أعرف أن أسمّي ذلك "الشيء" الذي يتلألأ فيه، ويشع منه؟ لأقل
إنه مادة شاهقة تولّد في جسدي كله ما يشبه انخفاضاً يتأرجح
بين الوجع والرغبة والدهشة.
مادة شاهقة؟
وأكاد أن أقول: الجمال، كما يتجلّى في هذا الوجه، وكما يتجلّى
في الأشياء كلها، يحوّل الزمن كله إلى لحظةٍ تتوقف فيها الحركة،
وتتوقف الصيرورة.
وأكاد أن أقول إن في الجمال قوة تجعل من الصيرورة نفسها
ماهية، ومن الغياب نفسه حضوراً.
والحب هو جسد هذا الحضور، ونشوته العليا. [2] [3]

وكأن جمال هذا الوجه وتفاصيله ليس إلا انعكاساً لجمال الكون، وما ولدّه هذا الوجه من إحساس (بالوجع والرغبة والدهشة)، أوقف الزمن، وتجاوز عتبة الثنائيات الضدية، ليحرر بذاته ما هو عبارة عن الكينونة، وكأن هذا البهاء/الحب، أدخله في عالم من النشوة الصوفية، تلك التي توحد بين الإنسان والإله، في عالم من الإلهام الروحي الأعلى، ليتحول هذا الوجه إلى رمز يتوحد مع العالم. ويرسم حقيقة الذات "وتتجلى فيه

[30] لوبروتون، دايفيد: سوسيولوجيا الجسد. تر: عياد أبلال، إدريس المحمدي، ط١، روافد، القاهرة، ٢٠١٤، ص١٣٥.
[31] بكاي، محمد: أرخبيلات ما بعد الحداثة، رهانات الذّات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى إقرار الانعتاق. ط١، الرافدين/لبنان، ٢٠١٧، ص٣١٢.
[32] فضاء لغبار الطلع. ص١١٤-١١٥

الحقيقة، لأنه الجانب الظاهر في الإنسان، وبظهوره تتكشف الحقيقة الباطنية، الخفية، فيصير الوجه حضرة لجميع القوى...فالوجه يعكس العلامات التي يخبئها الإنسان ويعتبرها عورة، إذ يحمل الوجه الانتصاب ببروز الأنف، وانفراجاً ثلاثياً من خلال شقوق الفم والعينين، فيعرض الوجه الأسرار الباطنية. وبما أن الوجه مرآة تعكس السر الخفي فعبره تتجلى صورة الجمال. وعندما تستر المرأة كل جسدها وتعري وجهها فإنها تجعل أسرارها ظاهرة، سافرة، حينذاك تفتن لأنها تصير مجرد أنثى تنطق عبرها وبها الشهوة،.." [٣]

ولما كانت تغطية الوجه دليل على الحشمة لدى البعض، فإنها في أغلب الأحيان ما هي إلا طمس للهوية، أو إخفاؤها "ففي حين أن كشف المرء (المرأة) لنفسه (ها) عارياً (عارية) من المؤكد أنه كان موضع استنكار في المجتمعات الإسلامية، فإن الجسد العاري نفسه لم يكن مخجلاً أو نجساً، لذلك فإن المرأة التي تباغت عارية يجوز لها ببساطة أن تحاول إخفاء هويتها، أي أن تضمن عدم وجود صلة يمكن إقامتها بين الجسد المكشوف والدال الأساسي على الهوية، أي الوجه" [٤] [٣]

ليقودنا ذلك إلى الصراع الأزلي بين المرأة ونفسها، وإثبات هويتها وحضورها، من جهة وبين المرأة ومجتمعها، بكل ما فيه من قيود وتقاليد من جهة أخرى. فكون الوجه هو وسيلة التواصل مع الآخر، فإن بتغطيته تتعطل فاعلية الحياة.

والسؤال هنا هل النقاب تعبير إيروتيكي عن شبق مرضي بجسد المرأة، أم أنه إلغاء لذاتها واختزال لوجودها من أجل إحكام السيطرة الذكورية؟!

خاتمة:

- لم يكن في تناول أدونيس للعري دعوة للاحتفاء به، بقدر ما هي دعوة لقراءة مكونات الوجود في تشكيلها الأول، فالعري هو حال الطبيعة، الضوء، الله، الماء... إنه الكشف والوضوح والانعتاق والحقيقة والحرية.
- تناول العري ما هو إلا دعوة لمكاشفة الجسد ومعرفة أسراره
- إن عري الجسد الظاهر في قصائد أدونيس هو صورة أو قناع، إنه يتجاوز التعرية الظاهرة، ليصل إلى تعرية مرتبطة بكلية الكينونة. من هنا يمكن أن نعدّ الجسد هو رداء الروح، وعندما تتعرى هذه الروح –أي تتحرر من الجسد– تهيم حرّة، فتعرية الأجساد ليست نهاية لعمليّة التعرّي كون الجسد نفسه هو رداء نتجرد منه عند الموت.
- إن قضية أدونيس الكبرى هي إنقاذ المرأة، من اغتيال ذاتها، والتحرر من الوصاية البطريركية، فلكي يتحرر الرأس لا بد من أن نكون أحراراً بأجسادنا.

[٣٣] براضه، نزهة: الأنوثة في فكر ابن عربي. ط١، دار الساقي، ٢٠٠٨، ص١٦٩-١٧٠.
[٣٤] شِكّ، إرفن جميل: الاستشراق جنسياً. تر: عدنان حسن. تقديم: ممدوح عدوان، ط١، قدمس، ٢٠٠٣، ص٣١٦.

قائمة المصادر والمراجع:

١- *القرآن الكريم*

٢- أدونيس: أول الجسد آخر البحر. ط١، دار الساقي، ٢٠٠٣.

ـ فضاء لغبار الطلع، ط١، دار الصدى: *كتاب دبي الثقافية يصدر عن مجلة دبي الثقافية*، الإصدار (٤٠)، ٢٠١٠

ـ *ليس الماء وحده جواباً عن العطش*. ط٢، دار التكوين، ٢٠١٠

٣- البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ط١، دار ابن كثير، ٢٠٠٢.

٤- إبراهيم، د. رجب عبد الجواد : معجم *المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير*. ط١، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٢.

٥- براضة، نزهه: *الأنوثة في فكر ابن عربي*. ط١، دار الساقي، ٢٠٠٨.

٦- بكاري، محمد : *أرخبيلات ما بعد الحداثة*، رهانات الذّات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى إقرار الانعتاق. ط١، الرافدين /لبنان، ٢٠١٧

٧- بنكراد، سعيد : مقال: الجسد ، اللغة وسلطة الأشكال، مجلة علامات . ١٩٩٥

٨- بيدوح، سمية: فلسفة الجسد. دار التنوير، ٢٠٠٩.

٩- توكاريف، سيرغي أ: الأديان في تاريخ شعوب العالم. تر: د.أحمد. م. فاضل، ط١، الأهالي، ١٩٩٨.

١٠-الحافظ، منير: الجنسانية، أسطورة البدء المقدس (بحوث جمالية تشخيصية لتأريخ الجنس في المعتقد الديني). ط١، دار الفرقد، ٢٠٠٨.

١١-أبو زيد، نصر حامد: *هكذا تكلم ابن عربي*. ط٣، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦.

١٢-سيرنج، فيليب: الرموز في الفنّ-الأديان-الحياة. تر: عبد الهادي عباس، ط١، دار دمشق ، ١٩٩٢.

١٣-شستاكوف ، فياتشيلاف: الأيروس والثقافة، *فلسفة الحب والفن الأوروبي*، تر: نزار سود العيون، ط١، دار المدى،٢٠١٠.

١٤-شكّ، إرفن جميل: *الاستشراق جنسياً*. تر: عدنان حسن. تقديم: ممدوح عدوان، ط١، قدمس، ٢٠٠٣.

١٥-عامر، رسلان جاد الله: *الجنس المقدس*، علاقة الرجل والمرأة من منظور هندوسي. موقع جمعية الأوان. سبتمبر ٢٤-٢٠١٨alawan.org.

١٦-عجم، رفيق: *موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي*. ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٩.

١٧- علوش، سعيد: *معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر*، مراجعة: د. يحيى، كيان أحمد حازم، د. الطالب، حسن. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت. ط١: ٢٠١٩.

١٨–فيهر، ميشيل: بالتعاون مع رامونا نداف ونياديا تازي، "شذرات لتاريخ الجسد البشري"، ج٢، زوان: نيويورك، ١٩٩٥، ص٢٣٧–٢٦٥، تر: د. مالك سلمان.

١٩–لوبروتون، دافيد: سوسيولوجيا الجسد. تر: عياد أبلال، إدريس المحمدي. ط١، روافد، القاهرة. ٢٠١٤.

٢٠–مارزانو، ميشيلا: فلسفة الجسد. تر: نبيل أبو صعب، ط١، مجد، ٢٠١١.

٢١– ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب (١٥ مجلد)، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

٢٢–نيخيلاندا، سومي: الهندوسية. تحضيرها لانعتاق الرّوح، تر: د. نبيل محسن، ط١، دار ورد، ٢٠٠٠.